زواج بحـار

قال الفتى وهو يشد على يدى فرحاً مسروراً «إننى اليوم أسعد مخلوق فى العالم فغداً يتحقق حلمى الذى طالما انتظرت تحقيقه بفارغ الصبر ، غداً سألج باب السعادة الذى أغلق دونى زمناً طويلا ، والذى أفنيت مايقرب من الثلاثين سنة عملا متواصلا فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية . فهلا تفضلت بحضور حفلة زفافى هذه الليلة ؟ . . » قلت ـ وهل اتخذت الإجراءات اللازمة وأعددت العدة لمثل هذا الحدث العظيم . ؟

قال : (وهو يقهقه ضاحكا) لاتخف فابن البحر لاتفوته صغيرة ولا كبيرة . . .

كان هذا الشاب بحاراً كأغلب أهالى الكويت نشأ وعاش فى بيت كل مافيه من البحر وللبحر . فهناك تجد كومة من الشرع ، وفى هذا الركن عدد من المجاديف ، وفى ذاك طيات من الحبال ، وما إلى ذلك من أدوات البحر . والفتى لايرى أباه وإخوته إلا ذاهبين إلى البحر مهتمين به فهو شغلهم الشاغل وعملهم المستديم ، لذلك لم يكن بمستغرب أن يشب الفتى وكل أمله أن يصبح بحاراً لايشق له غبار ولا يجاريه أحد فى ذلك المضمار ، كما كان أبوه وعمه ، وليس بمستغرب أيضاً أن يكون ماهراً فيه « فابن البط ـ كما يقول المثل ـ عوام » . . .

هاقد تحققت أمنيته التى كان يصبو إليها ، ولكن ماذا بعد ذلك . . ؟ إنه سمع من أبيه أن الإنسان لايخاطر بنفسه فى هذا البحر لأن يصبح بحاراً فحسب ، بل يجب عليه أن يجمع المال الكافى ليتزوج ويكمل نصف دينه . .

ورسخت فكرة الزواج التى سمعها من أبيه فى ذهنه وأخذ يعمل جاهداً لتصبح هذه الأمنية حقيقة واقعية ، فأنت لاتتحدث إليه إلا ويعرج بك فى حديثه على الزواج وفوائده وأنت لاتسأله عن أمله فى الحياة إلا ويجيبك قائلا : إن كل ماأصبو إليه هو أن أتزوج ، وأكون لى عائلة وأولاداً يحملون اسمى من بعدى . . .

هكذا كانت حاله ، عمل متواصل وشغل مستديم يحدوه أمل ، وتشد من عزيمته رغبة ، ألا وهى الرغبة فى الزواج .

إستطاع الفتى بعد مضى ثلاثين عاماً قضاها فى عمل شاق وتعب مرير أن يجمع مالا كافياً للزواج ثم أفضى لوالديه برغبته هذه وتبعاً للتقاليد خطبت له فتاة دون أن يراها أو يتحدث إليها ! . . .

لاتتصور أيها القارىء مقدار فرح الشاب عندما أنبىء بيوم زواجه ، لقد طاف بالأصحاب يدعوهم إلى حضور ليلة زفافه وطلب من بعض أصحابه البحارة أن يحضروا معهم طبولهم ودفوفهم ليكتمل الفرح ويتم السرور . .

زف الشاب إلى دار زوجته بين دقات الطبول وزغاريد النساء ، وبعد أن طاف الخدم بالبخور وماء الورد ، أخذ أصحابه يخلون له الدار بعد أن هنأوه بالرفاء والبنين . خلت الدار من المهنئين وزفت العروس إلى عريسها . ليس بثوب الزواج ، وإكليل الزهر يزين رأسها ، بل زجت إليه ملفوفة بعباءة سوداء ، إرتمت حال وصولها باب الغرفة فى ركن بعيد تبكى وتولول ! ! . نعم تبكى وتولول بدل أن تضحك وتفرح ، ولا لوم عليها إن بكت بل لالوم عليها إن ولولت فهى لاتعلم ماهى قادمة عليه غير أن رجلا تجهله كل الجهل قيل إنه سيتزوجها فهى تعتقد أو يخيل إليها أن ذاك الشاب ماهو إلا وحش سينقض عليها ويفترسها . .

وبعد معركة . . استطاع الشاب أن يكشف عن وجه زوجته فرأى ـ وبالقبح مارأى ـ فتاة أفقدها الجدرى إحدى عينيها بعد أن شوه وجهها ، ذات أسنان كأنياب الأسد أو هى أشد . فما كان من الشاب إلا أن أحس بقشعريره مؤلمة من هول هذه الصدمة فانزوى فى ركن من أركان الدار يندب حظه ويبكى سعادته .

مضى على مايقارب الشهر لم أر صاحبنا فيه وصدفة وفى أحد المجالس التى ضمتنى مع جمع من الرفاق أخذ أحدهم يقص على قصة صاحبنا الشاب قائلا : أتعرف فلاناً ؟ . . فلت ـ كيف لاأعرفه ؟ وقد نشأ معنا فى حى واحد . قال إذاً أنت تعرف ذلك الشاب الذى كان مثالا للبحار القويم المؤدب ذى الأخلاق المتينة والعادات الحميدة ؟ لقد أصبح بعد زواجه فاسقاً يقضى سحابة نهاره وجميع ليله فى بيوت الدعارة ، أصبح من مدمنى الخمرة بعد أن كان أكثرنا استهزاءاً بشاربيها ، أصبح لايعرف بيته إلا ساعات محدودة بعد أن كان لايغادره إلا للعمل .